"ولما رأى المؤمنون الأحزاب"

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ مُسبغِ النّعَمِ، دافعِ النّقَمِ، أجاب عبدَه إذ ناداهُ في الظُّلَم، ووعدَ بالنصرِ من التزمَ صراطَهُ الأقوَمَ، وأشهدُ أنَّ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنّ محمدًا عبْدُه ورسولُه، صلّى الله عليه وعلى آله وأزواجِه وذريَّتِه وصحابتِه ومَن تبِعَهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

أما بعد: فأوصيكم...فتقوى اللهِ نورُ البصائرِ، وبها تحيا القلوبُ والضمائرُ.

عن البراءِ بنِ عازبٍ ﷺقال: لما أَمرنا رسولُ اللهِ ﷺ بحَفْرِ الخَنْدَقِ عَرَضَتْ لنا في بعضِ الخَنْدَقِ صخرةٌ لا تأخذُ فيها المَعَاوِلُ، فاشتَكَيْنا ذلك إلى النبيِّ ﷺ فجاء فأخذ المِعْوَلَ فقال: بسمِ اللهِ، فضربَ ضربةً فكسرَ ثُلُثَها، وقال : اللهُ أكبرُ أُعْطِيتُ مَفاتيحَ الشامِ، واللهِ إني لَأُبْصِرُ قصورَها الحُمْرَ الساعةَ، ثم ضرب الثانيةَ فقطع الثلُثَ الآخَرَ، فقال: اللهُ أكبرُ، أُعْطِيتُ مفاتيحَ فارسٍ، واللهِ إني لَأُبْصِرُ قصرَ المدائنِ أبيضَ، ثم ضربَ الثالثةَ وقال : بسمِ اللهِ، فقطعَ بَقِيَّةَ الحَجَرِ، فقال : اللهُ أكبرُ أُعْطِيتُ مَفاتيحَ اليَمَنِ، واللهِ إني لَأُبْصِرُ أبوابَ صنعاءَ من مكاني هذا الساعةَ . النسائيُ وغيرُه .

أيها المسلمون: اصطفى اللهُ لعبادِه دينًا قويمًا، ووعدَ بإظهارِه ونصرِ عبادِه، وزُهوقِ الباطلِ وأعوانِه، وسيرةُ النبيِّ ﷺ زاخرةٌ بالحِكَمِ والعِظاتِ، مليئةٌ بالمِحَنِ والابتلاءاتِ، ولا مناصَ من علمِ سيرةِ النبيِّ ﷺ في شدائدِه.

واللهُ قصَّ في كتابِه غزوةً سُمِّيتْ سورةٌ باسمِها، وأمرَ المؤمنينَ أن يتذكَّروا نعمةَ اللهِ عليهم فيها في كلِّ حينٍ، فقال سبحانَه في مطلعِها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ).

وكانَ النبيُّ ﷺ إذا رقِيَ الصفا قال: "لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٍ، لا إله إلا اللهُ وحدَه، أنجزَ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه". م.

عباد الله : لقد كانت غزوةُ الأحزابِ غَزوةً عصيبةً مُخيفةً، في ليالٍ شاتيةٍ من السنةِ الخامسةِ من الهجرةِ، حرَّضَ يهودُ بني النضيرِ في خيبرَ كفارَ قريشٍ في مكةَ على قتالِ النبيِّ ﷺ، ووعدُوهم النصرَ والإعانةَ، فتحزَّبُوا وانضمَّ إليهم غطَفَانُ وغيرُها . فلما سمِعَ النبيُّ ﷺ بمسيرِهِم أمرَ المُسلمينَ بحفرِ خندقٍ حولَ المدينةِ،

فامتثَلُوا أمرَه، وحفَروا ونقلُوا الترابَ على ظهورِهم، وهم في حالِ نصَبٍ وبردٍ وجوعٍ.

عن سهلِ ﷺ قال : كُنَّا مع رَسولِ اللَّهِ ﷺ في الخَنْدَقِ، وهُمْ يَحْفِرُونَ ونَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ علَى أَكْتَافِنَا، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ، فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ والأنْصَارِ .خ. م .

وكان ﷺ ينقلُ معهم الترابَ، قال البراءُ ﷺ:"رأيتُ النبيَّ ﷺ ينقلُ من ترابِ الخندقِ حتى وارَى عنِّي الغُبارُ جِلدةَ بطنِه". خ.

وأتمُّوا حفرَ الخندقِ في نصفِ شهرٍ، وأصابَ الناسَ جوعٌ شديدٌ. وصفَ جابرٌ ﷺ ذلك الحالَ بقولِه :"عرضَت كُدْيَةٌ شديدةٌ ، فجاؤوا النبيَّ ﷺ فقالوا: هذه كُدْيَةٌ عرَضَت في الخندقِ، فقال:"أنا نازِل". ثم قامَ وبطنُه معصوبٌ بحجرٍ-أي: من الجوعِ. قال:"ولبِثنا ثلاثةَ أيامٍ لا نَذوقُ ذَوَاقًا".خ

وذهبَ جابرٌ ﷺ إلى امرأتِه فقالَ: رأيتُ بالنبيِّ ﷺ شيئًا ما كانَ في ذلك صبرٌ فذبحَ شاةً ،وطحنَ صاعًا من شعيرٍ، ودعا النبيَّ ﷺ ليأكُلَ، فأتَى النبيُّ ﷺ وبَصَقَ في البُرمَةِ ، وبصَقَ في العَجينِ، فبارَكَ اللهِ في الطعامِ،

فأكلَ منه ألفُ رجلٍ. قال الراوي: "فأُقسِمُ باللهِ! لقد أكَلوا حتى تركُوُه وانحرَفوا، وإن بُرمتَنا لَتَغِطُّ كما هي، وإن عجِينَنا ليُخبَزُ كما هو". خ. وكان ﷺ "يكسِرُ لإصحابِه الخُبزَ ويجعلُ عليه اللَّحمَ ويُقرِّبُه إليهم. فلم يزَلْ يكسِرُ الخُبزَ ويغرِفُ لهم حتى شبِعوا". خ.

عباد الله: أقبلَت الأحزابُ من يهودٍ ومُشركينَ من كلِّ صوبٍ وحدبٍ إلى المدينةِ في عشْرةِ آلافِ مُقاتلٍ (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ)

وخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ في ثلاثةِ آلافٍ من المُسلمين، والخندقُ بينهم وبين المُشرِكين، وحاصَروا المُسلمينَ شهرًا، ولم يكن بينهم قتالٌ وإنما تراشُقٌ بالنِّبالِ، وقُتِلَ في هذا الرمْيِ ثلاثةٌ من المُشرِكينَ، واستُشهِدَ ستَّةٌ من المُسلمينَ، منهم: سعدُ بنُ معاذٍ رضي الله عنه.

ومع حِصار الأحزابِ للمدينةِ استعانَ كُفَّارُ قريشٍ بيهودِ بني قُريظةَ، وكانوا في جنوبِ المدينةِ الشرقيّ. فنقَضَوا العهدَ مع النبيِّ ﷺ، وكانوا مع الأحزابِ على حربِه ﷺ فضاقَ الخَطْبُ، واشتدَّ الحالُ، وظهرَ الخوفُ مع الجُوعِ والبَرْد (وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ).

وعظُم البلاءُ، وظهر النفاقُ، وساءَت الظُّنُون (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا). قال حُذيفةُ ﷺ "قال النبيُّ ﷺ: "ألا رجُلٌ يأتيني بخبَر القومِ جعلَه اللهُ معي يومَ القيامةِ !". قال: فسكَتنا فلم يُجِبْه منَّا أحدٌ. وكرر ذلكَ مراراً ، قال حذيفةُ: فسكَتنا فلم يُجِبْه منَّا أحدٌ من أجلِ الخوفِ والجوعِ والبَرْدِ، فقال: "قُم يا حُذيفةُ، فائتِنا بخبرِ القومِ". قال: "فلم أجِد بُدًّا إذ دعاني باسمِي أن أقوم". م.

وانقطَعَت الأسبابُ الظاهرةُ للنَّصرِ، فلا عدَدَ ولا عُدَّة، والعدوُّ بقدرِ المُسلمِين مرَّاتٍ مُتعدِّدةٍ، ومُحيطٌ بهم من كلِّ جانبٍ.

قال شيخُ الإسلام "تحزَّبَ على المُسلمينَ عامَّةُ المُشرِكينَ الذين حولَهم، وجاؤوا بمجموعِهم إلى المدينةِ ليستأصِلوا المُؤمنينَ، وكان عَدُوًّا شديدَ العداوةِ لو تمكَّن من المُؤمنينَ لكانت نِكايتُه فيهم أعظمَ النِّكاياتِ".

ورسولُ اللهِ ﷺ يُصبِّرُ الصحابةَ ويُبشِّرُهم ويعِدُهم بنصرِ اللهِ، فقالوا: (هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) فثبَتَ الصحابةُ ﷺ والثباتُ نصرٌ، وتوكَّلُوا على اللهِ وأحسَنوا الظنَّ به.

قال شيخُ الإسلام: "غزوةُ الأحزابِ نصرَ اللهُ فيها عبدَه، وأعزَّ فيها جُندَه بغيرِ قتالٍ؛ بل بثباتِ المؤمنينَ بإزاءِ عدوِّهِم".

أيها المؤمنون: لجأَ النبيُّ ﷺ إلى ربّه وتضرَّعَ إليه مُتوسِّلاً بعلُوّه تعالى، وقُدرتِه المُتضمِّنةِ للنَّصِر، قال عبدُ اللهِ بنُ أبي أَوفَى رضي الله عنه: دعا رسولُ اللهُ ﷺ على الأحزابِ فقال: "اللهم مُنزِلَ الكتابِ، سريعَ الحسابِ، اهزِمِ الأحزابَ، اهزِمْهُم وزلزِلْهُم". متفق عليه.

فألقَى اللهُ الرُّعبَ في قلوبِ المُشرِكينَ، وأنزلَ نصرَه وخالفَ بين كلمةِ قُريشٍ واليهُودِ بتخذيلِ نُعيمِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه بينهم، وعادُوا حانِقينَ على بعضِهم، مُضمِرينَ الكيدَ بينَهم، بعد أن كانوا مُتحزِّبين ضدَّ المُسلمينَ.

ثم عذَّبَهُم اللهُ بريحٍ شديدةٍ بارِدةٍ، فلم يُقرَّ لهم قرارٌ، ولم تُوقَدْ لهم نارٌ، وأنزلَ الله ملائكةً أفزَعَتْهُم وقطَّعَت قلوبَهُم (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) .

فتفرَّقُوا عن المدينةِ وهم بشرٍّ خيبةٍ وخسرانٍ (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) .

وأنزلَ اللهِ في شأنِ هذه الغزوةِ (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) .

قال ابن كثيرٍ:"أُمِرَ الناسُ بالتأسِّي بالنبيِّ ﷺ يومَ الأحزابِ في صبرِه ومُصابَرَتِه ومُرابطَتِه ومُجاهدَتِه وانتِظارِه الفرَجَ من ربِّه". (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) . بارك الله لي ..

الخطبة الثانية:

الحمد لله ..أما بعد: أيها المسلمون:

العِزةُ بالإسلامِ والصَّبرُ والثَّباتُ، وعَدمُ قَبولِ المُسَاوَماتِ والتَّنَازلاتِ، من دروسٍ هذ الغَزوةِ ، فَقَد استَشَارَ النَّبيُّ ﷺ سَعدَ بنَ مُعَاذٍ وسَعدَ بنَ عُبَادةَ سَيِّدا الأوسِ والخَزرَجِ، عَلى أن يُصالحَ غَطَفَانَ عَلى ثُلثِ ثِمَارِ المَدينةِ وَيَرجَعوا، شَفقةً بِحَالِ المُسلمينَ، فَقَالا: يَا رَسولَ اللهِ، إنْ كَانَ اللهُ أَمَركَ بهذا فَسمعًا وَطاعةً، وإنْ كَانَ شَيءُ تَصنعَه لَنَا فَلا حَاجةَ لَنَا فِيهِ،

قَد كُنَّا نَحنُ وَهؤلاءِ عَلى الشِّركِ وعِبادةِ الأوثانِ، لا نَعبدُ اللهَ ولا نَعرِفُهُ، وَهُم لا يَطعَمونَ مِنَّها ثَمَرةً إلا بِيعًا أو قِرَى، أَفَحِينَ أَكرَمَنَا اللهُ بالإسلامِ وَهَدَانا إليهِ وأَعزَّنَا بِكَ وَبِهِ نُعطِيهم أَموالَنا؟! واللهِ مَا لَنا بهذا مِنْ حَاجةٍ، واللهِ لا نُعطِيهم إلا السَّيفَ حَتى يَحكُمَ اللهُ بَينَنا وبَينَهم، فَفرِحَ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامِ بِما رَأى من الثَّباتِ والصُّمودِ.

عباد الله: إِنَّ مِنْ حُقُوقِ الأُخُوَّةِ فِي الدِّيْنِ وَلَوَازِمِهَا: أَنْ يَتَرَاحَمَ المسْلِمُوْنَ فِيْمَا بَيْنَهُمْ، وأَنْ يَنْصُرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وأَنْ يُحِبَّ بَعضُهُم بَعضًا ، وَمِنْ هَذَا الشُّعُوْرِ الإِيْمَانِيِّ العَظِيْمِ اِنْطَلَقَتْ الحَمْلَةُ الشَعْبِيَّةُ المُبَارَكَةُ لِلْوُقُوفِ مَعَ الشَّعْبِ الفِلسْطِيْنِيِّ الشَّقِيْقِ فِيْ قِطَاعِ غَزَّةَ،

وَذَلِكَ عَبْرَ مِنَصَّةِ "سَاهِمَ"، وإنَّ مِنْ حَقِّ إِخْوَانِنَا فِيْ العَقِيْدِةِ والدِّيْنِ أَنْ نَشْعُرَ بِمُصَابِهِمْ، وأَنْ نَقِفَ مَعَهُمْ فِي كُرْبَتِهِمِ، وأَنْ نُقَدِّمَ لَهُمْ مَا يِمْكِنُ مِنْ اَلْمُسَاعَدَاتِ اَلطِّبِّيَّةِ وَالْإِغَاثِيَّةِ.

وَهَذَا اَلتَّوْجِيهُ اَلْكَرِيمُ مِنْ وَلِيِّ أَمْرِنَا – وفقه اَللَّهُ – يَأْتِي اِمْتِدَادًا لِمَوَاقِفِ بِلَادِنَا المُبَارَكَةِ تِجَاهَ الْقَضِيَّةِ الْفلَسْطِينِيَّةِ، فَاحْتَسِبُوا اَلْأَجْرَ فِي إِغَاثَةِ إِخْوَانِكُمْ؛ (ومَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ)

ومن واجبِنا كذلكَ الدُّعاءُ واستِنزَالُ النَّصرِ مِن السماءِ في الخلواتِ والجلواتِ . اللهمَّ يَا جَامعَ الشَّتاتِ، ومُخرجَ النَّباتِ، وَسَامعَ الأصواتِ مِنْ فَوقِ سَبعِ سَمواتٍ، اللهمَّ يَا مُجيبَ الدَّعواتِ، وَيَا قَاضيَ الحَاجاتِ، ويَا فَارجَ الكُرباتِ، يَا عَليماً بِحَالِنا وَحَالِ إخوانِنا في فِلسطينَ، اللهمَّ اجعَلْ لَهم مِن كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَمِن كُلِّ ضِيقٍ مَخرَجاً، اللهمَّ وَحِّدْ صُفوفَهم، وَسَدِّدْ رَميَهم، وأَعلِ كَلمتَهم، وانصرهم على عَدوكِ وَعدوِهم، اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ اليَهُودَ وَأعوَانَهم، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ، اللهمَّ شَتِّتْ شَملَهم.... ثم صلوا...